

نظرة استشرافية لمستقبلها

مثقفون ومبدعون بين ثقافة الكتاب وسيطرة الفضائيات..!!

تحقيق / المقال عبد الكريم

«الكتاب.. هذا الوعاء المعرفي الذي تناقلته البشرية أجيالاً متتابعة في أشكال مغايرة اختلفت عصراً بعد عصر.. فمن الحجر والجلود إلى ورق البردي.. ثم الطباعة بالحروف المسننة والمطابع الحجرية.. إلى كتاب الآن/ الورقي، وأخيراً الإلكتروني.. لكنه ظل هو هو الكتاب.. متميز المكانة.. فريد المساحة في حياة الإنسان.

ولأن الزلزال لا يضرب إلا الأرض الصلبة.. كان أن اهتز عرش الكتاب نوعاً ما.. تحت تأثير وهج شمس الصورة.. بدأ بالثابتة منها في المجلة والدورية المصورة.. وانتهاء بالمتحركة في السينما ثم التلفزيون.. وصار هذا الأخير يفوق الكتاب حجماً من ناحية الانتشار.. فمن الممكن - لحد معين - أن تجد بيتاً به مكتبة أو على الأقل مجموعة كتب، لكنه خال من جهاز التلفزيون.. غير أن الثابت أن عكس ذلك خطأ.. لأن التلفزيون معمم حتى على مستوى الأرياف.

استثمار الفضاء

ومع التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال الحديثة - باستثمار الفضاء في جزء منه لصالح الشاشة - كبرت وتعاضت مساحة التلفزيون في الحياة العامة.. وصارت تزاحم حتى يوميات الإنسان.. لذا من غير المستبعد أن تستحوذ على الهموم المعيشية غمزات والتماعات شاشة الفضائية - أياً كانت خاصة الواردة البنا - التي سينهمر هذا أو ذاك عليها بكل حواسه.. يخوض المعائم البعيدة بقمم عصري يليق أمانياته.. ولا يفرق في شيء عن قمم المارد في الخرافات القديمة.. إلا من حيث كونه مصمت وله أزرار مطيعة حسب نوع الطلب وأنه يدعى «ريموت كنترول»..

هذا وغيره الكثير - إضافة لعوامل ذاتية راجعة للكتاب نفسه من تكاليف ورق وطباعة وتوزيع.. الخ - كان أشبه مايكون بزمر من طيور «نقار الخشب».. حطت على دوحة عملاقة معمرة.. صحيح أنها منذ هبطت عليها لم تكتب حتى الآن شهادة الوفاة.. لكنها لا ريب مع الأيام ستبلغ هذا الشاطئ المخيف..!!

وما لا خصام عليه.. أننا وغيرنا مؤخراً وبفعل ضغوط ثقافة الفضائيات انسحبنا - البعض تدريجياً.. والبعض الآخر سقط صريعاً في الفخ منذ أول خطوة - عن الكتاب.. مسجلين بذلك نقاطاً - ربما مازالت نسبية - لمصلحة هذا الوحش المرئي..!!

أن مثل هذا الاستنتاج يسهل على أي أحد التوصل إليه.. بناء على ما هو متوافر بوضوح على أرض الواقع.. ولتأكيد أو بوضوحه.. أي من أجل:

أ - رد الاعتبار للكتاب وتثبيت أقدام المتشككين بأمرة.. وتقديم الدليل القاطع على أن سطوة التلفزيون حالياً، وعلى الرغم من جبروتها إلا أنها لا تعدو أن تكون فقاقيع مياها غازية.. أو هي بالأحرى كأي حركة انقلابية فاشلة تفور ثم تغور.. وأن الكتاب فعلاً مازال طوداً شامخاً يهزأ برياح التلفزيون التي مهما زمجت قلن تحرك منه حصاة واحدة..!!

ب - الهمس بعزاء أسف على الكتاب ومصيره الفاجع الذي ثبت بيقيناً بخطوات عملية.. أنه يكاد يلفظ أخيراً أنفاسه الذابلات تحت ثقل سنابك التلفزيون الفولاذية..!!

لأجل هذين الخيارين.. كان لابد من

- أحمد القاسمي: متابعة عدالة السماء في برامج التلفزيون..!!
- نضال الإرياني: ألجأ إلى الكتاب ليلبي احتياجاتي المعرفية.
- د/ علي حداد: أربكنا تكاثر الفضائيات..!!
- محمد المقال: أنا أقرب وجدانا بالكتاب.

الرومانسية والألغاز البوليسية وكتب التنجيم والأبراج والأطباق الطائفة والتداوي بالقران والعسل وتعلم اللغات الأجنبية في خمسة أيام أو خمس ساعات..!!

الفتنات الحرجة..!!

يبسو أن الأحداث والأزمات هي الجاذب الفصيل للتلفزيون.. كما هو حال هذه الأيام فيما يخص الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق وما تلاها من أحداث إلى الآن.. مما يدعو إلى متابعة الأخبار أولاً بأول من مصادرها.

● نضال الإرياني - قصة: ساعاتها المخصصة للجلوس أمام التلفزيون قليلة جداً.. وهي مقتصرة فقط - كما تقول - على متابعة النشرات الإخبارية.. (خاصة في هذه الأونة الحرجة من تاريخ امتنا العربية والإسلامية.. عدا ذلك ألجأ إلى الكتاب ليلبي احتياجاتي المعرفية).

● د/ علي حداد - ناقد: يقرر أن أغلب متابعته للتلفزيون مقتصرة على الأخبار فقط ومن مختلف القنوات (يبسو أن الحال مع كثرة القنوات الفضائية زيادة أربك المشاهد.. الذي لا يطمئن إلى خبر ولا يثق به إلا إذا رجحته أكثرية المصادر).

● محمد المقال - باحث: هو الآخر لا يريد من التلفزيون إلا نشرات الأخبار ومن مصادرها الموثوقة.. الجزيرة أولاً وساحتها الإخبارية الكبيرة ثم المنار ثم

الأكاديميين..!!

٢) شكلية: أما بيع وتوزيع الكتب أو استلامها من المخازن وقهرستها وتصنيفها ووضعها على رفوف المكتبة العامة المخصصة للاطلاع من قبل عشاق القراءة أو الباحثين والمهتمين

٣) ديكورية: (النماذج كانت هنا ضئيلة جداً) قائمة على اعتبار الكتاب عنصر حيوي بين أثاث البيت أو الشقة.. لذا وفي حالة وجد لدى شخص من هذه النوعية مكتبة في منزله - سواء كانت كبيرة فخمة الرفوف أو صغيرة - فالأمر أساساً أراد أن يزيد من

أبهة الأثاث بإضافة دولا «إيطالي» في الديوان - أهم حجرة في المنزل.. يعنى بها الإنسان اليمني كثيراً.. فهي مرآة ستعكس لزواره وضيوفه وأعضاء مقبل القات أزهى الصور عنه ومكانته اجتماعياً وثقافياً - يرص عليه الكتب خاصة تلك التي تطبع بأغلفة فاخرة والكتاب من عدة أجزاء مجلدة.. يقوم باقتنائها سنوياً من معرض الكتاب.. أو لأن هذه الكتب - أن كان من متوسطي الدخل - من بقايا «مجد» الدراسي/ الأكاديمي.. أما تكون من المقررات الجامعية.. أو التي تصادف أنها تمت بصلة لتخصصه العلمي.. اشتراها في حينه.. أو لأنه بين حين وآخر.. منذ ثانويته المدرسية يجيد اقتناص فرص الرخيص «العرطة».. بغض النظر عن مضمون أو اتجاه الكتاب أو مؤلفه.. بما في ذلك الروايات

إجراء «تحقيق» واسع المدار يجب ويستعرض شرائح مجتمعية مختلفة المستويات العلمية والعملية.. يرتكز على وخزة الدبوس هذي (ماهي نوع علاقتك بالاثنتين.. الكتاب والتلفزيون!!).. وهذا ماكان.

ومايجب الإشارة إليه.. هو أن قلة الحصيلة هاهنا عائدة أساساً الى سببين كالتالي:

الأول: جغرافية الاستطلاع نفسه على الملحق الثقافي.

الثاني: الانتقاء والتخبر قدر الامكان من اجمالي اللقاءات مع المشاركين.. جاء هذا القرار تحت وطأة النتيجة النهائية التي رسمت للكتاب واقعاً حالاً.. اطاره شاحب الصفرة يحاكي وجوه الموتى امتقاعاً.. حيث انضح أن ثمة فئات مختلفة في المجتمع.. على الرغم من علاقتها القوية بالكتاب.. لدرجة الالتصاق «الساعاتي» - بمعنى أنها مستمرة على مدار أغلب ساعات اليوم - إلا أنها علاقة غير ثقافية أو معرفية.. كونها محددة بقولب جامدة.. تزيد من الهوة بين القارئ والكتاب.. ولتوضيح ذلك هذه بعضاً منها:

١) منفعية/ مؤقتة: يراد منها الوصول لهدف واحد.. اما النجاح آخر العام في الامتحانات - للحصول على شهادة تضمن أو تحسن الدرجة الوظيفية أو على الأقل عمل مناسب - أو لتحضير الدروس واللقاء المحاضرات..!!

- فيصل الحماطي: الفضائيات ألغت دور الصحف الإخبارية..!!
- علي الدعوس: حالة تلازم مع الكتاب.
- محمد الكامل: تعتمد القراءة على الحالة النفسية..!!
- خالد الأهدل: الأخبار والبرامج التحليلية المفيدة.



العربية والخليفة.

● الأخ/ فيصل الحماطي - موظف: يجلس إلى التلفزيون بعد التخلص من الالتزامات المهنية والأسرية.. (جاءت الفضائيات فألغت دور الصحف ذات السمعة الكبيرة في مجال الأخبار.. وأصبحت متابعة الحدث أسرع وأوسع من التلفزيون).

● محمد الكامل - باحث: يخصص للتلفزيون مساحة زمنية من وقته تقدر في المتوسط بثلاث ساعات.. (اهتمامي مركز على الأخبار والحوارات الحية مع شخصيات سياسية.. أو المتعلقة بجوانب الحياة وقضايا الساعة).

..وأشياء أخرى؟

إضافة إلى الأخبار هناك برامج متنوعة وكثيرة بين فنية وسياسية:

● خالد الأهدل - قاص وناقد: على سبيل المثال نادراً ما يتابع شيء غير الأخبار ويكون ذلك من قبيل المصادفات.. (أحياناً كالفخايات السينمائية أو الفنية عموماً.. وهناك بعض البرامج التحليلية التي أشعر أن فيها شيء من الفائدة).

● الأخ/ محمد علي زيد - موظف: بحوالي 5 ساعات يستغرقه التلفزيون في اليوم الواحد.. وما يركز عليه اهتمامه يختلف من وقت لآخر وحسب الظروف ونوعية البرامج.. (البرامج دائمة المتابعة عندي كثيرة.. مثلاً المرتبطة بالموضوعات العلمية والتاريخية والعسكرية.. إضافة إلى المسلسلات أو الأفلام البوليسية.. وهناك التسجيلية كالريپورتاجات السياحية).

● الرحالة/ أحمد القاسمي: لأنه من النوع الذي يهيمه ويشده انتصار الخبر على الشر في نهاية المطاف.. ولأنه يكره العنف والتطرف فهو يميل إلى متابعة التلفزيون لبرامج كالتالي: (المسلسلات التلفزيونية الدرامية التي يطغى فيها جانب استحواد الشر والألم على حياة الشخص.. مثل هذه تشدني حتى نهايتها لأشهد في الأخير عدالة السماء.. وهذا أيضاً ينعكس على اهتماماتي في متابعة البرامج العلمية كالأفلام الوثائقية عن الحيوانات البرية أو البحرية ومبدأ سيطرة شريعة الغاب).

الكتاب.. أولاً

لكن هل ثمة مقارنة بين الوقت المخصص للتلفزيون والكتاب من حيث المساحة الزمنية؟

● محمد المقال: لا يرى أدنى مقارنة.. والنقاط الحاسمة في صالح الكتاب وحده.. (أنا أقرب وجداناً واهتماماً بالكتاب.. حدث أنه في بداية ظهور الفضائيات أن انشغلت ببريقها لكن كان ذلك لفترة محدودة للغاية.. عندما تلاشي تأثيرها).

● الأخ/ علي الدعوس - رياضي: يرى نفسه أكثر قرباً بالكتاب منه بالتلفزيون.. لا شيء إلا لأن مايقدم على قناتنا الفضائية سواء في المجال الرياضي أو غيره نادراً مايجذب انتباه المشاهد.. (أنا والكتاب في حالة تلازم.. وعبر مجالات كثيرة منها الرياضية والسياسية أو الثقافية.. وما يحكم ذلك هو مضمون الكتاب نفسه أو اسم مؤلفه).

● محمد الكامل: يعتقد أن القراءة في الأساس تعتمد على الحالة النفسية للشخص.. (أخصص حوالي 4 ساعات يومياً للكتاب.. أما في مجال التخصص أو خارجه ضمن مجالات السياسة أو الفكر أو الثقافة العامة).